

تحولات العمل التوثيقي في مجتمع المعلومات: التحديات وأدوات العمل الجديدة بالنسبة للمكتبات الجامعية الجزائرية

رياض بن لعلام
مصلحة قواعد البيانات الوطنية
مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني CERIST
البريد الإلكتروني: Riadou@tassili.cerist.dz

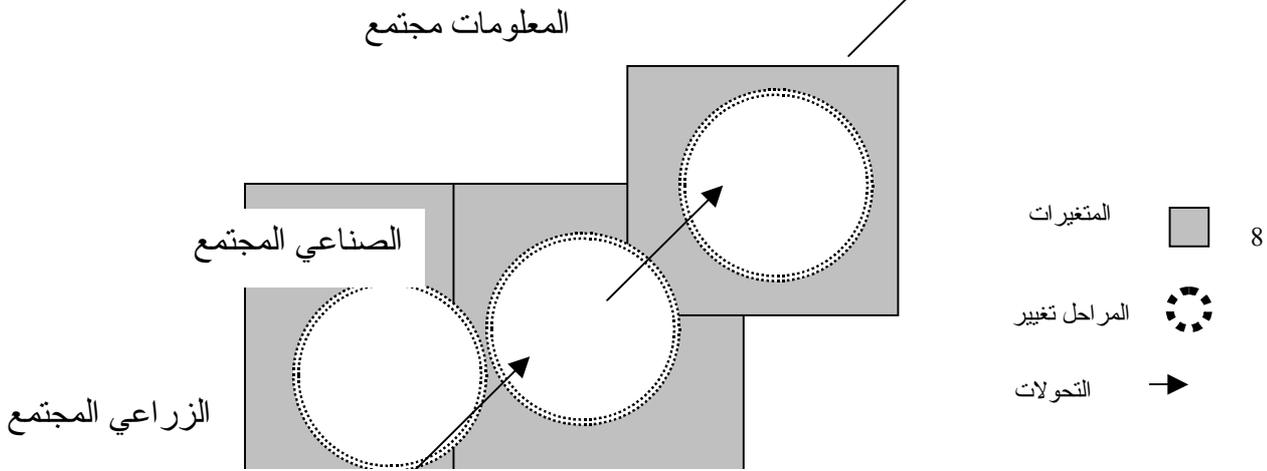
● مقدمة:

لا يختلف إثنان في أننا نعيش في عصر تحتل فيه المعلومات والإلكترونيات مكانا هاما في شتى مناحي الحياة ولا يقتصر الأمر على جوانب الحياة اليومية بل تعداه إلى تطبيقات مرتبطة ارتباطا وثيقا بسلسلة إنتاج ومعالجة المعلومات في كل أشكالها . وهذا الأمر لم يكن ليتحقق لولا توفر واجتماع الكثير من العوامل التي ساعدت على ذلك ووصلت حدا أصبح فيه مصطلح صناعة المعلومات ومجتمع المعلومات يفرض نفسه كمعطى جديد يحتم التعامل معه بعقلية جديدة تتجاوز ماتوارثته ذهنيات المجتمعات الزراعية والصناعية...والنامية!!!؟؟

وفي هذا السياق تمثل المؤسسات التوثيقية على اختلافها حجر الزاوية الذي تبنى عليه عقلية المجتمع الجديد ولامناص للمكتبات الجامعية من قيادة أو مسايرة الركب إن على مستوى الإدارة أو الإنتاج والتسويق الإعلامي الذي أصبحت تضبطه مجموعة من المبادئ والأدوات المعرفية والتكنولوجية التي قد لا يدرك عنها الكثير أو يغفلها العديد من مديري/محافظي مكتباتنا الجامعية، أما البقية فحدث ولا حرج. إن الهدف من هذه الورقة هو تسليط الضوء على بعض المبادئ والأدوات التي يبنى عليها العمل التوثيقي في ظل التغيرات الحاصلة على مستوى مكتباتنا الجامعية من جهة أو على مستوى ما يتم تداوله في الأوساط المتخصصة في العالم من جهة أخرى .

؟؟؟؟ الإلكتروني المجتمع

شكل (1) : (مراحل تطور المجتمع الإنساني



الشكل مأخوذ بتصريف طفيف عن :

Nouvelles approches de l'enseignement, de l'apprentissage et de l'utilisation des technologies de l'information et de la communication dans l'éducation / Ijeerd Plomp, Alfons Ten Brummelhius, Willem J. Pelgrum
In : Perspectives, UNESCO, vol. XXVII, n° 3, sept. 1997, p. 458

إن التعرف على هذه المبادئ والأدوات سيسمح لنا بالتأكد من تحديد موقعنا من التطور الحاصل ويوفر علينا عبء الخوض في تجارب خاضها الآخرون ووصلوا على إثرها إلى نتائج سنصل إليها حتما لو آمنا بنفس المنهجية والتنظيم والتخطيط!!!

● مظاهر التحول نحو مجتمع المعلومات:

يمكن أن نلاحظ هذه المظاهر في الإستثمارات الكبرى التي أصبح يجلبها قطاع المعلومات والتي قلبت الكثير من الموازين والمفاهيم الجاهزة التي لم تستطع مسايرة واقع التحول الحاصل الذي فاق في سرعته وقوة فعله كل ما عرفته مراحل تطور الإنسان على هذه البسيطة من قبل. من مظاهر هذا التحول يمكن أن نركز على:

1. التطور الكبير في نوعية وأحجام المعلومات المتداولة¹ الذي نتج عنه تحول موازي في البنى والأنظمة التربوية، فقد أوضح الأستاذ ماجول في كتابه (ثورة التعليم (أن" الحقائق العلمية قد تضاعفت للمرة الأولى حوالي سنة 1750م، وتضاعفت للمرة الثانية في مستهل هذا القرن، وتضاعفت للمرة الثالثة في نهاية الحرب الكونية الأخيرة، غير أنها لم تستغرق سوى عشر سنوات للتضاعف للمرة الرابعة في حدود سنة 1960²، كما قدر ماك لوهان هذا التطور المذهل بالوحدة الزمنية فارتأى أن " حجم ماينتجه الإنسان من المعرفة في مدة ثلاث سنوات من عصرنا الراهن تساوي ثلاثين سنة من بداية هذا القرن وثلاثمائة سنة من عصر نيوتن، وثلاثة آلاف سنة من عصر الكهوف، وأن ماينبغي أن يتعلمه التلميذ في أية مادة من مواد المنهج الدراسي يزيد ثماني مرات عن ماكان يتعلمه سلفه قبل مائتي عام³. إذا كان) ماك لوهان (يذكر هذا عن التلميذ في العالم المتقدم، فماذا عساه يقول عن الأستاذ عندنا ؟

- تطور تكنولوجيا الأقراص) آخرها القرص المعروف ب DVD، الواب وتقنية النص المترابط، الخ.)، إنتشار الأوعية المقروءة آليا (Machine Readable Form) والتي تتمثل

¹ النظام الجامعي الفرنسي لوحده يتوفر على أكثر من أربعة ملايين ونصف المليون 4.5 وثيقة. أنظر:

Le catalogue collectif de France / Edwige Archier, Yves Moret, Daniel Renoult

In : Bulletin des bibliothèques de France, Paris, T. 43, n° 4, p. 26-27

² المدرسة الجزائرية : مضمون التعليم وأهداف التكوين / محمد العربي ولدخليفة

في : الثقافة، س. 8، ع. 47، أكتوبر-نوفمبر 1978، ص. 61

³ نفس المصدر ص. 62

خاصة في قواعد معلومات مرجعية ونصية مخزنة على أقراص مضغوطة-CD ROM متوفرة محليا أو على الخط المباشر والتطوير الكبير الذي عرفته شبكة الشبكات الأنترنت غيرت بشكل جذري العلاقة بين الباحث-المعلومة-طرق البحث؛ - تجاوز أشكال الإسترجاع التقليدية إلى ما أصبح يعرف بما بعد المنطق البوليني والذي يتميز بأن " المكتبات أصبحت تقدم فهارسها للبحث المباشر على الخط، لأي مستفيد من رواد المكتبة، دون مساعدة الوثائقي. ومن هنا نرى أن الإتجاه اليوم هو البحث عن أساليب تسهل العمل للمستفيد النهائي، ولا تتطلب أي تدريب على استخدام الآلة نفسها، ولا أي معرفة بلغة البحث لطرح الأسئلة، أو باللغة التوثيقية للتعبير عن المفاهيم".⁴

ولقد قدم العديد من الباحثين مواصفات فهرس الجيل الثالث⁵ الذي يتميز بالإضافة إلى خصائصه التقليدية ب:

*المساءلة باللغة الطبيعية؛

*عرض النتائج حسب درجة الوثاقية (pertinence)

*إستخدام تقنية النص المترابط (Navigation hypertextuelle)

*بحث متعدد اللغات

*إستخدام التصنيفات وملفات الإسناد على تنوعها

*إغناء محتوى تسجيلات المارك) الملخص، قائمة المحتويات، الزيادة في

أعداد رؤوس الموضوعات، الخ.)

*الوضع على الشبكة مع فهارس أخرى للسماح بالإنفاذ عن بعد

*واجهات نفاذ أكثر جاذبية

- تنوع كبير في حاجيات ورغبات رواد المؤسسات التوثيقية الذين تحولوا إلى زبائن/

مستفيدين فإذا كان الحصول على الوثيقة الأولية مطلبهم الرئيسي، فإن هناك محوران

جديدان يتطلبان عناية خاصة بهما وهما:

* الوصول إلى مصادر توثيقية متعددة ومختلفة في أي وقت وفي ظروف جيدة

من حيث النوعية والسرعة في التنفيذ؛

*معالجة المعلومات المحصلة بطريقة سهلة وإدماجها في مشاريع الأبحاث

الشخصية.

وهذا يتطلب في حد ذاته:

⁴ ما بعد المنطق البوليني : التطورات الأخيرة في أساليب استرجاع المعلومات وسبل إستفادة التوثيق العربي منها / د. مود أسطفان هاشم

في : المجلة العربية للمعلومات، مج. 16، ع. 2، 1995، ص. 30-45

⁵ L'accès sujet dans les catalogues en ligne : le cas des bibliothèques universitaires de France / Majid

Ihadjadene

In : Bulletin des bibliothèques de France, Paris, T. 43, n° 4, 1998, p. 104

*التكيف مع خصوصيات المستفيدين يتعلق الأمر هنا بإنشاء علاقة أدبية/ تجارية مبنية على تواصل الثقة مع المستفيد بتحديد ومتابعة إحتياجاته بصفة منتظمة؛

*التكيف مع منطق التقييم الداخلي والخارجي بتجاوز الحساسيات والأفكار المسبقة. تطور كبير في برمجيات القراءة الضوئية للحروف OCR التي سمحت بانتشار أكبر للمساحات الضوئية Scanner في عمليات الترقيم والأرشفة الإلكترونية؛ تحول مهنة المكتبي-الوثائقي-أمين المحفوظات⁶ إلى ناشر أكثر منه جامع وحافظ؛ تسعير المنتجات والخدمات الوثائقية في المكتبات الجامعية خضوعا للتشريعات القانونية المسيرة لحقوق التأليف الخ⁷.
في البدء لا بد من تحديد المحيط الذي تتطور فيه مكتباتنا الجامعية:

إنه وفي ظل غياب دراسات ميدانية فاعلة وفي غياب شبه تام لإحصاءات شاملة حول وضعية المؤسسات الوثائقية الوطنية، فإنه لا مناص لباحث مثلي من اللجوء والإستعانة بتجربته الميدانية على حداتها وبما تسمح به الملاحظة المباشرة وقراءة بعض الأوراق العلمية لتحديد المحيط العام الذي تتطور فيه مكتباتنا الجامعية. وفي هذا المقام فإن قراءة أولية في خارطة الجامعة الحالية خاصة وفي واقع المؤسسات الوثائقية الوطنية عامة يمكننا من ملاحظة الآتي:

1. أن خارطة الجامعة الجزائرية تتميز عموما بمايلي:
برامج إنشاء الجامعات الجديدة لاتأخذ من ضمن أولوياتها إنشاء مكتبات جامعية، وحتى وإن تم ذلك فإنها لاتوفر لها كل الإمكانيات الضرورية) العنصر البشري والمادي) الذي يسمح لها بحسن السير وانتظامه، وتشكل جامعة البليدة أكبر دليل على ذلك، فهي لحد الساعة لم تفتح أبواب مكتبتها المركزية مع أن الجامعة ليست وليدة العهد القريب. وهذا في حقيقة الأمر يطرح عناصر إشكالية أكثر تعقيدا تتمثل في:

*عدم وجود ارتباط وظيفي بين تسيير الجامعات ومكتباتها المركزية، أما مكتبات المعاهد فحدث ولا حرج؛

⁶ هذه التسمية على الرغم من تقادمها فإنها لازالت حاضرة بلا منازع في النصوص الرسمية. وهي في الحقيقة تعكس وضعا هشاً للمهنة كرسه القالب التكويني الجاهز الذي زج فيه أهل الإختصاص أثناء تكوينهم.

⁷ معلومات أكثر استفاضة تجدها في مداخلتنا:

حدود المسؤولية الإعلامية والقانونية للمنتج والمستهلك في مجتمع المعلومات : التحميل من قواعد البيانات كمثال / رياض بن لعلام

ألقيت في أشغال الندوة العربية للمعلومات" تكنولوجيا المعلومات والتشريعات القانونية"، قسم علم المكتبات في كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية في جامعة منتوري) قسنطينة(، 25-27 سبتمبر 1999م، 19 ص.

*وجود تنافر مكرس في البرامج الملقنة بين البيداغوجيا ومناهج البحث من جهة والتوثيق من جهة أخرى وهذا مرده إلى النظرة الخاطئة التي تعتبر المكتبة الجامعية هيكلًا بسيطًا جامدا عوض اعتباره أداة بيداغوجية علمية فاعلة في اكتساب ونقل المعارف؛

جدول رقم (1) : تواريخ إنشاء مكاتب معاهد جامعة الجزائر⁸

تاريخ إنشاء المكتبة	تاريخ إنشاء المعهد	المعاهد التابعة لجامعة الجزائر
1980	جويلية 1975	معهد اللغات الحية
1980	جويلية 1975	معهد علم المكتبات والعلوم التوثيقية
1987	أوت 1984	معهد الفلسفة
1987	أوت 1984	معهد علم النفس وعلوم التربية
1985	أوت 1984	معهد علم الآثار
1987	أوت 1984	معهد التاريخ
1987	أوت 1984	معهد علم الاجتماع

- ضعف التأطير البشري الذي يتمثل في النسب الضعيفة التي يمثلها المختصين في المكتبات ضمن الترسانة البشرية التي تعج بها جامعاتنا؛

⁸ الجدول مأخوذ بتصريف طفيف عن:

Les structures documentaires de l'université d'Alger : vers une organisation en réseau / Fatiha Ait Messaoud, Nadia Hennaoui, Fatma Zohra Kherchache. _ Alger : CERIST 1999_ p. 29
Mém. PGS : IST : Alger : CERIST : 1999

جدول رقم (2): توزيع المستخدمين في مكتبات معاهد جامعة الجزائر⁹

المكتبات	المستخدمين المتخصصين	المستخدمين غير المتخصصين
المكتبة الجامعية المركزية	19	64
معهد علم المكتبات والعلوم التوثيقية	01	04
معهد علم الاجتماع	00	06
معهد علم النفس وعلوم التربية	01	07
معهد اللغات الحية	01	17
معهد اللغة والأدب العربي	01	11
معهد الترجمة	00	05
معهد العلوم السياسية	01	09
معهد علوم الإعلام والإتصال	00	18
معهد علم الآثار	01	05
معهد التاريخ	00	06
معهد الفلسفة	00	08
معهد العلوم القانونية والإدارية	02	30
معهد العلوم الاقتصادية	00	09

- تأخر كبير في عمليات الأتمتة وإدخال التكنولوجيات وأوعية المعلومات الجديدة في الخدمات المكتبية؛

- إنعدام تقاليد العمل المؤسسي وغياب البرامج التعاونية ما بين المكتبات الجامعية مع قلة الإهتمام بالبرامج التعاونية المطورة في هيئات أخرى (الفهارس المشتركة الوطنية مثلا)؛

- إرتفاع معتبر في عدد الطلبة المسجلين مما يشكل عبئا كبيرا على هذه المكتبات التي لا تتمكن في الغالب من تلبية رغبات واحتياجات هذه الأعداد الهائلة وهذا لأسباب عديدة منها : قلة وتقدم المصادر والمراجع المتوفرة، عدم كفاية أوقات فتح المكتبات¹⁰، قلة أماكن العمل¹¹، ضعف الخدمات المقدمة هذا إن توفرت طبعاً !!!

⁹ الجدول مأخوذ بتصريف طفيف عن:

Les structures documentaires de l'université d'Alger Op. Cite p. 44

¹⁰ مكتباتنا الجامعية تعمل بمعدل 40 ساعة تقريبا في الأسبوع (متوسط 06 ساعات في اليوم (وهو معدل ضعيف نسبيا. المثال الفرنسي) وليس هو الأحسن بالضرورة لو قارناه بمعدلات الدول الإسكندنافية (يعمل بمعدل 50 ساعة أسبوعيا والهدف هو الوصول إلى 60 ساعة/الأسبوع. المكتبات الجامعية الأمريكية من جهتها تعمل بمعدل تسعين 90 ساعة أسبوعيا.

¹¹ المكتبات الجامعية الألمانية توفر : مكان عمل/05 طلاب بمعدل 1.5 متر مربع/الطالب الواحد.

ينتج عن هذا بالضرورة ضعف إقبال واستجابة الطلبة والأساتذة لما توفره المكتبات الجامعية؛

2. المحيط العام لهذه المكتبات الجامعية هو الآخر له انعكاس سلبي على مردودها وتطورها. يمكن أن نلخص الأمر في نقاط رئيسية هي:

- وجود مؤسسات توثيقية كالمكتبة الوطنية، المكتبات العامة، مكتبات مراكز ووحدات البحث الخ من حيث كونها عقارا ثابتا مع توفرها على أرصدة توثيقية غنية نسبيا؛ ...ولكن:

يتمتع الوصول والنفوذ السهل والفعال إلى محتويات هذه المجاميع التوثيقية لأسباب عديدة طبعا هذه الوضعية لها أسبابها الموضوعية، كثرة المعلومات وتنوع مصادرها مع تزايد الإهتمام بالأدبيات الرمادية، التطور الكبير في تكنولوجيا معالجة المعلومات ونقلها تولد عنه تسارع في تقادم الأرصدة التوثيقية خاصة في الميادين العلمية الأكثر تطورا وكذا التضائل المستمر في موارد المؤسسات التوثيقية صاحبه زيادة في أسعار بعض خدمات الإتصالات والمواصلات وعبء جديد تمثله الضرائب مثل ضريبة القيمة المضافة (TVA)، ولكن من جهتنا كمعنيين مباشرة بالموضوع نرى أن هناك أسبابا غير موضوعية تتمثل في:

1. تأخر استخدام منهجيات وأدوات الضبط التوثيق نظرا ل:
تخلف التفكير في إنشاء هيئة تقوم بتوثيق وتطوير البحث في ميدان الإعلام العلمي والتقني¹²؛
الغياب شبه التام للمكتبة الوطنية في تجسيد معالم النظام الوطني للمعلومات؛

تأخر توظيف أشكال وأدوات الضبط البيبليوغرافي لمختلف الوثائق:
*الوكالة الجزائرية للترقيم الدولي الموحد للمسلسلات (1991)
*الوكالة الجزائرية للترقيم الدولي الموحد للكتاب (1996)

2. تسبب كبير في توظيف أدوات التقييس التوثيق مع غياب شبه تام لأنشطة التقييس الوطني في مجال التوثيق والمعلومات؛

4. عدم مسايرة النص التشريعي للتطور التكنولوجي في الميدان¹³ مع غياب إطار قانوني واضح للمهنة الخ.

¹² مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني عرف النور ابتداء من سنة 1985

هذا هو الواقع عندنا، وبقدر ما يبدو تجاوزه صعبا بقدر ما يدفعنا الأمر أكثر من أي وقت مضى لاستشراف ما قطعه الآخرون بغية الإستفادة من تجاربهم. والأمر في هذا المقام لا يراد منه عرض التطبيقات التكنولوجية وآخر ماتم إبداعه في المجال، ولكن ما يعيننا أكثر هي الخطوات والمبادئ المنهجية التي ينبني عليها العمل التوثيق في مجتمع الألفية الثالثة؟؟

تذكير ببعض البديهيات:

هذه البديهيات تشكل في حقيقة الأمر معالم الطريق الذي تسير فيه العناصر الفاعلة في قطاع المعلومات في الدول المتطورة. ولعله من نافلة القول الإشارة إلى أن الأمر أصبح يتحدى حدود البلد الواحد إلى التكتلات الكبرى في شكل تجمعات لغوية ثقافية وإقتصادية وما لجان المعلومات التابعة للمجموعة الأوروبية¹⁴ إلا أصدق مثال على ذلك. الملامح الكبرى لهذا الطريق يمكن حصرها في:

1. بدأت المكتبات تركز على ضرورة الوصول والنفوذ إلى المعلومات
Accessibilité على حساب الإفراط في اقتناء المطبوعات، فتحوّلت المكتبة من مستودع مطبوعات إلى بوابة معلومات Information Gateway؛
2. ونتيجة ذلك أن بناء المجموعات سيشهد تغيرات كثيرة في عدة مجالات منها:
تعدد المعلومات في المكتبة كما وشكلا في صبغتها الإلكترونية؛
- الإختيار والإقتناء سيبنى على الطلب؛
- الإستيلاء سيتم في ثوان بواسطة الإتصال المباشر؛
بناء المجموعات يصبح عبارة عن الإشتراك في بنك المعلومات أكثر من شراء المجموعات؛

¹³ تضمن البيان الختامي لأشغال الندوة العربية للمعلومات "تكنولوجيا المعلومات والتشريعات القانونية" التي انتضمت بالتعاون بين قسم علم المكتبات في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة منتوري (قسنطينة) وإتحاد مجالس البحث العلمي العربي في الفترة ما بين 25-27 سبتمبر 1999م إشارة إلى هذه النقطة الحساسة في التوصيتين الخامسة والسادسة، حيث جاء فيهما:

- حث المؤسسات العلمية والجامعات ومراكز البحث العلمي العربية على مواكبة التطورات الثقافية الحديثة ودعم مكباتها ومراكز المعلومات الخاصة بها بالوسائل الفنية والمادية الممكنة؛

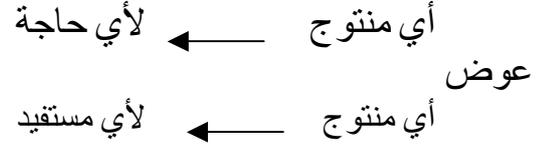
- تشكيل لجنة عربية مشتركة من الخبراء المختصين في المعلوماتية والتشريعات القانونية لإعداد مسودة لمجموعة من التشريعات المناسبة والملائمة لاحتياجات المجتمع العلمي العربي.

¹⁴ * تنقسم المجموعة الأوروبية CCE إلى 23 قسم. كل قسم منها يهتم بقطاع معين. الأقسام المكلفة بتكنولوجيا المعلومات هي :
DGX II (science, recherche et DGX (audiovisuel, information, communication, culture)
DGX III (télécommunications, marché de l'information et valorisation de la recherche).

ربما ستقتصر الإعارة على الإستعمال الداخلي، لأن الإعارة الخارجية ستصبح صعبة بل مستحيلة إذا كانت أغلب مجموعات المكتبة بنوك معلومات أو شبكات أقرص¹⁵.

3. تطوير كبير لبرامج التقييس سواء تعلق الأمر بالمواصفات أو التراكيب الآلية وكذا المعالجة الإلكترونية للمعلومات؛

4. تسويق المنتجات والخدمات الوثائقية سيخضع لتنظيم تسويقي جديد¹⁶:



من أجل سياسة توثيقية للجامعة أو إعادة التفكير في سياسة اقتناء المجموعات:
قد يبدو العنوان جذابا للوهلة الأولى ويحق لقائل أن يقول : كفانا رفعا للشعارات !!!
وجوابي أن الشعارات آيلة للزوال إذا لم ينفخ فيها أصحابها بروحهم، أما روحنا فإنها تنقد عزما وأملا. وهل من معنى لسياسة توثيقية جامعية دون مشاركة فعالة لمحافظي ومدراء المكتبات الجامعية؟ إن هذه السياسة أصبحت ضرورة أكثر من أي وقت مضى لأنها تشكل الجزء الأكبر في بنية النظام الوطني للمعلومات الذي لا يجب أن يخالج أصحابه أي شك أو تززع في الفهم!!!

إن محافظي المكتبات الجامعية وفي بلد كألمانيا قد تجاوزوا مشكل العائق المالي الذي تعاني منه مكتباتهم الجامعية باعتمادهم سياسة اقتناء تشجع كل ما هو بحث علمي بحث ولا أدل من ذلك أنه" في عام 1994م، إقتنت المكتبات الجامعية الألمانية 3.1 مليون مطبوع و 03 ملايين أطروحة كلفها ذلك 217 مليون مارك . يبدو هذا المبلغ هاما في سائر البلدان الأوروبية إلا أنه يعتبر غير كاف بالنسبة للدور الذي تعهدت به المكتبات الجامعية في التعليم العالي في ألمانيا.¹⁷ (ولن يقف الأمر عند هذا الحد) أي تشجيع إقتناء الرسائل الجامعية وتقارير البحوث الخ في بناء المجموعات بل سيتعداه الأمر إلى " الإستجابة للمتطلبات التي يقتضيها النشر الإلكتروني والذي أحدث تغييرات عميقة في المكتبات والمعلومات وقد ترتب على هذه التغييرات ظواهر عديدة منها:

¹⁵بناء المجموعات في عصر النشر الإلكتروني وانعكاساته على المكتبات في الوطن العربي / د. بهجة مكي بومعرافي

في : المجلة العربية للمعلومات، مج. 18، ع. 2، 1997، ص. 133

¹⁶ صناعة المعلومات وديناميكية التسويق للخدمات المكتبية / الأخضر إيدروج

في : المجلة العربية للمعلومات، مج. 17، ع. 2، 1996، ص. 46

¹⁷ المكتبات الجامعية الألمانية : الوضع الحالي / إعداد جرنوت يو. جابل، ترجمة د. عبد اللطيف عبيد

في : المجلة العربية للمعلومات، مج. 17، ع. 2، 1996، ص. 122

1. سرعة ظهور معلومات جديدة تستوجب سرعة مماثلة في إيصالها إلى المستقبل؛
2. ظهور المئات من أنظمة تحالف المكتبات وشبكات المعلومات مثل EBLIDA*؛
3. المعلومات الإلكترونية بدأت تفرض وجودها بقوة في أهم مجالات البحث والتنمية؛
4. ظهور الشبكة العالمية INTERNET وانتشار استخدامها للوصول إلى أشهر وأغنى مكتبات العالم والإستفادة من فهارسها ومجموعاتها.¹⁸

ما يمكن أن تضيفه شبكة الأنترنت ؟

بالنسبة للمكتبات الجامعية فإننا يمكننا تحديد دعم شبكة الشبكات في محورين أساسيين هما:

- تامين موارد المؤسسة عبر توفير النفاذ عن بعد إلى فهارسها الكامل، التعريف بالمؤسسة التوثيقية وخدماتها، الخ؛
- شبكة الشبكات يمكن اعتبارها نافذة على الخارج باعتبارها توفر أرضية لتطوير الشراكة التوثيقية واستغلال المجاميع التوثيقية الأجنبية عن بعد، الخ.

عرض إجمالي للآليات والأدوات الواجب اعتمادها:

إن أول خطوة في الطريق الطويل لمجتمع المعلومات تمر عبر التمكن من بعض الآليات والأدوات المنهجية التي لامناص من حسن تطبيقها ومتابعتها من طرف مكتباتنا الجامعية إذا أرادت الوصول إلى مرتبة الكفاءة والمعيارية حسب مواصفات الجودة لمنظمة التقييس الدولية. هذا المعيار الأخير يمثل لمكتباتنا الجامعية أكبر ضمان على سلامة الطريق الذي تخطوه وتنتهجه من بين شروطه الرئيسية:

1. ضرورة تبني الجامعات بخصوص المعلومات إستراتيجية مميزة ذات صلة بسياساتها في مجال البحث والتعليم... الخ؛
2. تنظيم الإنتاج الفكري الجامعي، ويشمل إتباع قواعد الوصف والشكل : فعند إنتاج وثيقة يجب على مؤلفيها إتباع ما جاء في المواصفات المعدة من طرف منظمات التقييس والهيئات التوثيقية الدولية (ISO, IFLA الخ) مثل:

* European Bureau of Library, Information and Documentation و European Science Foundation
 و European Association of Consumer Electronics Manufacturers الخ.
¹⁸بناء المجموعات في عصر النشر الإلكتروني وانعكاساته على المكتبات في الوطن العربي / د. بهجة مكي بومعرافي ص. 132

-المكتب الدولي للمواصفات 1982/5966 : التوثيق - تقديم التقارير العلمية والتقنية
-المكتب الدولي للمواصفات 1986/7144 : التوثيق - تقديم الرسائل الجامعية
والوثائق المشابهة.
-المكتب الدولي للمواصفات 1977/2384 : التوثيق - تقديم المترجمات

3. تطبيق الضبط الببليوغرافي من بينها معيار) ISRN الرقم الدولي المعياري للتقارير (بالنسبة إلى التقارير التي تم تحديدها على الصعيد الوطني؛
4. ترقية وتعميم التسويق الإعلامي الذي يمثل " الوسيلة المثلى التي تساعد على تحسين مردودية الوسائل الإنسانية، المادية والمالية المسخرة لإنشاء وتسيير أي نظام إعلامي وثائقي أو توثيقي"¹⁹؛
5. تطبيق توجهات المنظمة الدولية للتقييس²⁰ والفيديالية الدولية لجمعيات المكتبات²¹ IFLA لقياس الأداء في المكتبات الجامعية²².

يمكن الاستفادة كذلك من بعض الأدوات التوثيقية الوطنية²³ التي تمثل أحسن بديل بالنسبة لبعض التطبيقات الأجنبية، نذكر أهمها:

1. الفهرس/الرصيد الجزائري للرسائل الجامعية : هو قاعدة بيانات وطنية، متعددة الميادين ومتعددة اللغات تحصي كل الرسائل الجامعية الخاصة بالدراسات العليا (مابعد التدرج) المتوفرة في المكتبات ومراكز التوثيق والمؤسسات المشاركة في المشروع. هذا الجرد يخص الأطروحات التي تمت مناقشتها داخل وخارج الجزائر من طرف جزائريين أو غيرهم.

¹⁹ La fonction Marketing dans SID : pour une approche systémique / Gladys Adda
Actes du séminaire : le Marketing de l'information, Institut Supérieur de Documentation, Tunis, 1992,
p.17

Norme ISO 11620 : Indicateurs de performance des bibliothèques.²⁰

²¹ للعلم أن IFLA نشرت كتابا حول الموضوع بعنوان:

Measuring quality : international guidelines for performance measurement in academic libraries /
Roswitha Poll, Peter Te Boeckhorst. _ Munchen : Saur, 1995

²² قياس الجودة : توجهات IFLA لقياس الأداء في المكتبات الجامعية / إعداد بيتر ت. بوكهورست؛ ترجمة د. خميس بن حميدة
في : المجلة العربية للمعلومات، مج. 17، ع. 1، 1996، ص. 144-153

²³ لمعلومات أكثر ، طالع مداخلتنا:

Les réservoirs bibliographiques nationaux : rôle et perspectives de développement dans le système
national d'information / Riad Benlalam, Amine Kerrouche
Actes de la 2eme édition du séminaire national sur le système national d'information : état actuel et
perspectives, Ecole supérieure des banques, Alger 21-22 juin 1999, 07 p.

2. الفهرس الجزائري للدوريات : هو قاعدة بيانات وطنية تحصي الدوريات الوطنية والأجنبية (مع حالات السلاسل) المتوفرة في المؤسسات التوثيقية الوطنية.

حاجتنا إلى إحصاءات حول المكتبات الجامعية²⁴:

المكتبات عامة والجامعية منها خاصة كباقي المؤسسات والهيئات في حاجة دائمة إلى الإعتماد على البيانات الإحصائية اللازمة لتطوير أدائها وتقييم مردودها بالنسبة للخدمات المقدمة للمستفيدين في محيط تنافسي في هذا المقام لا يجب أن نتجاهل التطورات الحاصلة في الإحصاء كعلم جانبي دخل بقوة معترك المعلومات في السنوات الأخيرة²⁵.

وليس أدل على ذلك من أن المشرفين على اللجنة (DGXIII-E4 Electronic publishing and libraries) التابعة للمجموعة الأوروبية قاموا بتنظيم ورشة* في إطار برنامج (Telematics for library)²⁶ ضم مجموعة من خيرة وصفوة الخبراء الأوروبيين في ميدان الإحصاء لتدارس موضوع من الكم إلى الكيف : جمع، تحليل واستخدام إحصائيات المكتبات. ** ولا شك أن مشروع LIBECON 2000 يمثل أهم ماتم الإتفاق عليه فيما بين الدول الأوروبية (29 بلد أوروبي) بغرض إنشاء قاعدة بيانات أوروبية حول إحصائيات المكتبات والتكاليف المرتبطة بها حسب السياق الإقتصادي لكل دولة

ويبقى رأس المال الأول هو الإنسان أو ماهي وظيفة محافظ المكتبة الجامعية في عصر المكتبة الإلكترونية؟

من أدوات العمل الجديدة إعتماد وسائل الإدارة الحديثة في تسيير المكتبات الجامعية²⁷ وتتمثل أهمية هذا الأمر في:

ترقية حس المسؤولية في علاقات العمل وهذا عن طريق تشجيع اللامركزية وتوزيع المسؤوليات على مختلف مستويات إتخاذ القرار وهو الأمر الذي سيخلق جوا تنافسيا في العمل يحفز الإبداع والعطاء؛

²⁴ تجدر الإشارة إلى وجود مواصفة دولية حول إحصاءات المكتبات : Norme ISO 2789/1974 : statistiques de bibliothèques
²⁵ طالع: bibliothèques وقد أعيد نشرها سنة 1989م.

L'évaluation des services électroniques en bibliothèques : les statistiques à l'âge du numérique / Peter R. Young

In : Bulletin des bibliothèques de France, Paris, vol. 43, n° 3, 1998, p. 66-69

* Atelier européen pour les fournisseurs et les utilisateurs de statistiques de bibliothèques.

²⁶ معلومات أكثر حول المشروع، يمكن زيارة صفحة الواب التالية <http://sdbib.mesr.fr/europe/europe.htm>

** De la quantité à la qualité : recueil, analyse et utilisation des statistiques de bibliothèques.

L'organisation du travail : un nouveau défi pour les bibliothèques universitaires / Jean-Claude Roda²⁷

In : Bulletin des bibliothèques de France, Paris, T. 43, n° 4, 1998, p. 96-103

تنظيم عمل كل فرد على أساس الأهداف الواجب تحقيقها في حدود إطار زمني مضبوط وملزم مسبقاً؛

ربط التسيير بتقييم النتائج المحصل عليها ومستوى الكفاءة الذي توصل إليه عن طريق إعطاء بعد تطبيقي للمؤشرات التي توفرها الإحصائيات المجمعّة؛

أخذ عامل الوقت بعين الحسبان واعتبار أن عمل قليل، سليم ودائم أفضل من عمل مرحلي سريع التنفيذ ومنقطع.

وهكذا أصبح محافظ المكتبة الجامعية أكثر من أي وقت مضى ملزماً بتشجيع ثقافة الفريق بين مستخدميه لتوفير خدمة ذات قيمة مضافة تحفز الحاجة والرغبة لدى المستفيدين الذين يرتادون المكتبة الجامعية. فلا مناص من اعتماد تقسيم العمل والمسؤوليات إذا أردنا تجاوز مشاكل المرحلة والتأقلم مع خصوصياتها.

خاتمة:

أبتدئ الخاتمة بما انتهيت إليه في الفقرة السابقة (...) وهو أن سنام الأمر في كل تغيير جاد وفعال نحو الأحسن يجد مغزاه في المسير الكفؤ الذي يسانده فريق عمل مجد في تنفيذ برنامج عمل، واضحة معالمه، محكمة أهدافه ومضبوطة توقيتاته. وتبقى التكنولوجيا أداة من أدوات العمل توظف بمقدار كفاءة من يستغلها.

إن مكتباتنا الجامعية مع حلول الألفية الثالثة ستجد نفسها أمام خيار لا ثاني له، فإما أن تساير تجارب مثيلاتها في العالم المتقدم- بقدر المستطاع - وإما أن تمضي على صك فنائها في ظل المنافسة الشديدة التي سيعرفها قطاع المعلومات حتماً مستقبلاً على مشارف أبوابها !!

توصيات مقترحة:

1. إعداد دراسة توجيهية (Schéma directeur) لوضع نظام معلومات جامعي²⁸ بغية تطوير الخدمات المقدمة للمستفيدين وتطوير الأدوات التوثيقية الموظفة حالياً. ويتم ذلك على مستويين متكاملين:
* تكليف هيئة وطنية أو مجموعة خبراء لإعداد مسودة المشروع ثم يتم مناقشتها والمصادقة عليها في مؤتمر وطني لأهل الاختصاص تحت رعاية الوزارة الوصية والوزارات الداعمة؛

²⁸ أنظر المثال الفرنسي:

Le schéma directeur informatique des réseaux de bibliothèques universitaires / François Pelle
In : Bulletin des bibliothèques de France, Paris, n° 1, 1994, p. 24-27

- * إعداد برنامج مضبوط لتنظيم ملتقيات حول المواضيع الرئيسية التالية:
 - المعالجة الفنية للمعلومات في المؤسسات الجامعية : من أجل تصور موحد (الإتفاق على خطة مشتركة مع الإتفاق على إعداد برنامج لدورات تكوينية لرسكلة عمال المكتبات الجامعية الذين يقومون بعمليات الفهرسة، التكتيف والتحليل).
 - أتمتة خدمات المكتبات الجامعية : المنهج والأداة (عرض للمشاريع الوطنية في ميدان البرمجيات : برمجيات التسيير الآلي المكتبات، برامج الأرشفة الإلكترونية، الخ).
 - إستثمار الأنترنت في المكتبات الجامعية (تنظيم دورة تكوينية حول استخدامات الأنترنت مع تطوير صفحات الواب، الخ).
- 2. إنشاء مفتشية خاصة للمكتبات الجامعية ومكتبات مراكز ووحدات البحث على مستوى وزارة التعليم العالي يتم إسناد المهام فيها إلى خبراء ومختصين في المكتبات والمعلومات تكلف ب:
 - الإنتلاق في إعداد إحصاء سنوي دوري حول المكتبات الجامعية لتوظيفه في تقييم مستوى نجاعتها وتطور مردودها؛
 - إصدار الدليل الوطني للمكتبات الجامعية بصفة دورية في شكل إلكتروني متاح في طبعة ورقية وعلى شبكة الأنترنت؛
 - خلق تقاليد العمل المؤسساتي بتشجيع تنظيم إجتماع دوري سنوي لمدراء ومحافظي المكتبات الجامعية لتقييم العمل المنجز خلال السنة الفارطة، تبادل التجارب وتحديد إحتياجات المرحلة المقبلة؛
- 3. تطوير برنامج تعاوني ما بين المكتبات الجامعية في شكل شبكة معلومات حول الرسائل الجامعية ومشاريع الأبحاث المسجلة. الهدف هو الوصول إلى إعداد منتوجين إعلاميين في شكل قاعدتي بيانات حول:
 - الرسائل الجامعية المناقشة في المؤسسات الأكاديمية الجزائرية؛
 - مشاريع الأبحاث الجارية المسجلة.
- 4. تطوير برنامج " ملفات إسناد النظام الجامعي الجزائري "وهذا يفترض أتمتة أرصدة كل المكتبات الجامعية الجزائرية في مرحلة أولى ثم توحيد المداخل (أسماء الأشخاص والهيئات، أسماء الأماكن الجغرافية، رؤوس الموضوعات). الهدف من هذا المشروع يتمثل في بناء نواة قاعدة بيانات ملفات الإسناد الوطنية؛
- 5. إلحاق المكتبة الوطنية بوزارة التعليم العالي حتى تتمكن من الإستفادة من التجارب المحققة على مستوى مراكز الأبحاث الخاصة بالمعلوماتية ومعالجة المعلومات .

وليس المجال في هذه الورقة للخوض في هذه النقطة ولكننا نؤكد أن وزارة الثقافة كوصاية لايمكنها الإرتقاء بالمكتبة الوطنية الجزائرية إلى مستوى ما هو منتشر في الخارج؛

6. العمل على تشجيع وإعتماد أنظمة التبريز accreditation et certification بالنسبة لمؤسسات التكوين في المكتبات والمعلومات وكذلك بالنسبة للخبراء الوطنيين؛

7. إعادة النظر في ترتيب المهنة في سلم الوظيف العمومي بما يعمل على تطويرها ويكفل جلب الطلبة والمستخدمين النجباء للتكوين حولها؛

8. مراجعة القوانين المتعلقة بالمكتبات الجامعية بحيث يتم إعادة النظر في أوقات الفتح والغلق وتطوير خدمات الإستقبال والإستعلام والتوجيه؛

9. تشجيع تطوير برمجيات التسيير الآلي للخدمات المكتبية وكذا مشاريع الأرشفة الإلكترونية في المكتبات الجامعية خاصة بالنسبة للوثائق المنتجة من طرف الجامعة (الرسائل والأطروحات الجامعية، تقارير الأبحاث، الخ).